خُطْبَةُ جُمُعَةٍ

# التَّوْحِيدُ أَوَّلُ وَصِيَّةٍ وَأَعْظَمُ وَاجِبٍ

أ.د. سُلَيْمَانُ بْنُ سَلَّمَ عَايِدٍ اللُّقْمَانِيُّ

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه ﷺ .

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: 102].

﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: 1]

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ)

عباد الله حديثنا اليوم عن أعظم وصية وأول وصية وصى الله بها عباده

حديثنا اليوم عن أعظم ما أمر الله به إنه توحيده سبحانه وتعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: 21] فأمرنا الله بعبادته وحده؛ لأنه الذي خلقنا وخلق الذي من قبلِنا، فلا يستحق العبادةُ إلا الخالق.

وهو أول دعوة الرسل وخُلاصتُها، ومن أجلِه بُعِثوا، قال -سبحانه-: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)[الأنبياء:25].

وفي كل صلاةٍ يُعاهِدُ المُسلمُ ربَّه على القيام به: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ)[الفاتحة:5]، أي: لا نعبدُ سِواك: (وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ).

وأولُ ما يُسألُ عنه العبدُ في قبرِه" :**من ربُّك؟!**"، أي: مَن معبُودُك؟

عباد الله: بالتوحيد ينشرِحُ الصدرُ، ويطمئنُّ القلبُ، ويتحرَّرُ من عبوديَّة الخلقِ، (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ) [الأنعام:125].

وهو ونهجُ الرُّسُل تعليمه لأولادهم وسُؤالُهم عنه وهم في سَكَرات الموت، قال تعالى: (أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) [البقرة:133].

بالتوحيد تُفرَجُ الهُموم وتُكشَفُ الكُروب: (فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ)[الأنبياء:87]

قال ابن القيم -رحمه الله" :-ما دُفِعت شدائدُ الدنيا بمثلِ التوحيد."

بالتوحيد يُزيلُ الغلَّ ويُصلِحُ القلبَ، قال ﷺ-: "ثلاثٌ لا يُغلُّ عليهنَّ قلبُ مُسلمٍ: إخلاصُ العملِ لله، ومُناصحةُ أئمة المُسلمين، ولُزومُ جماعتهم؛ فإن الدعوةَ تُحيطُ من ورائِهم"(رواه الترمذي)

التوحيد سببُ الحياة الطيبة؛ بل لا سعادةَ في الدنيا إلا به؛ قال -سبحانه-: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) [النحل:97].

التوحيد قِوامُ الحياة التي تطلبُها النفوس: (فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى) [طه:123].

كلمةُ التوحيد كلمةٌ طيبةٌ شامِخةٌ، أصلُها ثابتٌ وفرعُها في السماء، هي كلمةُ الله العُليا، وبها كلَّم الله مُوسَى كِفاحًا من غير واسِطة: (إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي) [طه:14]

وهي أعلى شعب الايمان ، قال -عليه الصلاة والسلام-: "الإيمانُ بِضعٌ وسِتُّون شُعبةٌ؛ فأفضلُها قولُ: لا إله إلا الله"(رواه مسلم).

هي أزكَى الكلام وأثقَل شيءٍ في المِيزان، وتعدِلُ عتقَ الرِّقاب، وحِرزٌ من الشيطان في كل يومٍ، قال النبي ﷺ"من قالَ مائةَ مرَّة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لهُ المُلكُ ولهُ الحمدُ، وهو على كل شيءٍ قدير، لم يأتِ أحدٌ بأفضلَ مما جاءَ به إلا أحدٌ عمِلَ أكثرَ من ذلك" (رواه البخاري).

وأكملُ الخلقِ ياعباد الله أكملُهم لله عبوديَّةً، وعلى قدرِ تحقيقِ التوحيدِ يكونُ كمالُ العبدِ وسُمُوُّ مكانتِه، والله يُدافِعُ عن المُوحِّد في دينِه ودُنياه، وأرجَى من يحظَى بمغفرةِ الله هو المُوحِّد، قال -ﷺ-: "لو أتيتَني بقُرابِ الأرضِ خَطايا، ثم لقِيتَني لا تُشرِكُ بي شيئًا لأتيتُك بقُرابِها مغفرةً" (رواه الترمذي).

قال ابن رجبٍ -رحمه الله-: "فالتوحيدُ هو السببُ الأعظمُ؛ فمن فقدَه فقَدَ المغفرةَ، ومن جاء به فقد أتَى بأعظم أسباب المغفِرة"

والشيطانُ لا سبيلَ له إلى المُوحِّد: (إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)[النحل:99].

وبقدرِ توحيدِه تزدادُ مُدافعَة الله عنه، قال -سبحانه-: (إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا) [الحج:38].

ومن حقَّقَ توحيدَ الله فاللهُ حافظٌ له من المُوبِقات والفواحِش، قال الله عن يُوسف عليه السلام (كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) [يوسف:24].

قال ابن القيم -رحمه الله-: "كلما كان القلبُ أضعفَ توحيدًا وأعظمَ شِركًا كان أكثرَ فاحِشة".

والمُوحِّدُ عليه في الحياة الدنيا السَّكينةُ والطُّمأنينةُ، وآمِنٌ فيها بقدر إيمانِه: (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) [الأنعام:82].

والأمواتُ ينتفعِون بدعواتِ المُوحِّدين، ولا تُقبَلُ في صلاة الجنائزِ إلا دعواتُهم، قال -عليه الصلاة والسلام-: "ما من رجُلٍ مُسلمٍ يموتُ فيقومُ على جنازتِه أربعون رجلاً لا يُشرِكون بالله شيئًا، إلا شفَّعَهم الله فيه" (رواه مسلم).

وإذا دنَت وفاةُ المُوحِّد بشَّره الله بالجنَّة، قال -عليه الصلاة والسلام-: "من كان آخرَ كلامِه: لا إله إلا الله دخلَ الجنة" (رواه أبو داود).

قال ابن القيم -رحمه الله" :-كلما كان توحيدُ العبدِ أعظمَ كانت مغفرةُ الله له أتمَّ؛ فمن لقِيَه لا يُشرِكُ به شيئًا البتَّة غفرَ له ذنوبَه كلَّها."

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم من كل ذنبٍ، فاستغفِروه؛ إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

## الخطبة الثانية

الحمد لله الذي هدانا لتوحيده بإفراده بالعبادة وحده، وأكرَمنا باجتناب الشِّرك به في عبادته، وما كُنَّا لنهتدي لولا أنْ هدانا الله، وأُصَلِّ وأُسَلِّم على خير خلق الله حبيبنا وقدوتنا محمد ﷺ وعلى أله وأصحابه الطيبين الطاهرين وبعد:

**أيها المسلمون:** إن التوحيد أغلى ما يملِكُ المُسلِم، ومن هداهُ الله إليه فليعضّ عليه بالنواجِذ، وليصُنْه مما يُناقِضُه أو يقدَحُ فيه أو يُنقِصُه، ومن دعا غيرَ الله أو طافَ على قبرٍ أو ذبَحَ له فقد خسِرَ أنوارَ التوحيد وفضائِلَه، ولم تُقبَل له طاعة، وتعرَّض لنُصوص الوَعيد بالخُلود في النار.

التوحيدُ منَّةٌ من الله عظيمةٌ، يهَبُها لمن يشاءُ من عباده، وعلى المُسلِم أن يسعَى لتحقيقِه في نفسِه وذرِّيَّته والأقرَبين من أهلِه ومن جميع الناس.

فلنشكر هذه النعمة بدعوةُ الخلقِ إليها، والتحذيرُ من كلِّ آفةٍ تُنافِي أصلَها أو كمالَها، ولنسأل الله الثَّبات عليها، ونبتعدَ عن البِدَع والشُّبُهات والشّهَوات، ونكثر من الطاعات، ونتزود من علوم الشريعة، ونسأل العُلماء الربَّانيِّين عما يُشكِلُ منها.

**أيها المسلمون** الموت أقرب إلى أحدكم من شراك نعله الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها

يا ابنى آدم عش ما شئت فإنك ستموت واعمل ماشئت فإنك مجزي به وأحبب ما شئت فإنك مفارقه وكن كما تكن فكما تدين تدان

عباد الله صلو وسلموا على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه فقال سبحانه **( ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا )** الأحزاب: ٥

**اللهم صلى وسلم على عبدك ورسولك محمد.**